(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الرابع للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر
للفترة من 7-8 نيسان 2025 /القسم الرابع, الصفحات 222-235

صورة المرأة في كتاب النهاية في الكناية للثعالبي

م.م نور ياسر العجمي[1]

مديريةالتربية/ ذي قار

الملخص :

يعد أبو منصور الثعالبي من أشهر أدباء العربية وله الكثير من المصنفات التي أغنت التراث العربي بأشياء مختلفة عن المجتمع والطبيعة الإنسانية وكانت بمثابة أرشيف لفترة من حياة العرب الأدبية و الاجتماعية ، وقد عني هذا البحث بكتاب "النهاية في الكناية" الذي تميز بجمال موضوعه وأهميته في التعرف على أساليب العرب الكلامية لبث معانٍ ضمنية يتعذر عليهم الإفصاح عنها ولعل الحديث عن المرأة أكثر ما يجذب أنتباه المتلقي عند تصفح هذا الكتاب وهو ممّا يتحرج العربي في الحديث عنه، ومن هنا كانت الحاجة للكناية عنها بشتى الكنايات التي تعددت بتعدد المواقف والأحوال ، وقد ركز هذا البحث على استنباط ثلاث صور للمرأة هيمنت على تلك الكنايات : صورة المرأة الممقوتة ،و صورة المرأة المصونة ، وصورة الزوجة ،و أنتهى إلى أن هذه الصور قد كشفت عن فلسفة الثعالبي و نظرته تجاه المرأة و المواضيع المتعلقة بها عبر ما أختاره من الكنايات .

الكلمات المفتاحية : معنى إيحائي ، معنى قيمي ، معنى واقعي ، صورة المرأة

-The Image of Woman in Al-Nihaya fi al-Kinaya by Al“

Noor Yasser Yassin Khudair

Dhi Qar Directorate of Education, Iraq

:Summary

writers and has many works that influenced Abu Mansour al-Thaalbi is one of the most famous Arab the Arab heritage and served as an archive for a period of the Arabs' literary and social life. This research has been care about the book "The End in the Metaphor " which distinguishes the beauty and importance of knowledge of the Arabs for verbal methods The word utterances transmit implicit meanings that they are unable to disclose. Perhaps talking about women is what attracts the attention of the recipient the most when browsing this book, and it is something that Arabs are embarrassed to talk about. Hence, the need to refer to her with various metaphors, which were numerous in various situations and situations, and this research focused on deducing Three images of women dominated these metaphors: the image of the hated woman, the image of the preserved woman, and the image of the wife, and he concluded that these images revealed Al-Thaalibi's philosophy and his view of women .and related topics through the metaphors he chose

Keywords: The connotative meaning, the denotative meaning, the axiological (value-oriented) .meaning, and the representation of women

المقدمة :

الوقوف على أثر من آثار الثعالبي بالبحث والدراسة مثل كتابه النهاية في الكناية المعروف بالكناية والتعريض، هو أشبه بالوقوف على مشهد تشريحي للعين البشرية فتارة انت مسحوراً بجمالها وما توقعهُ في

[1] Nooryassir042@gmail.com

نفسِ الناظرِ من تأثيرِ بأفعالها وألونها في اي حال هي عليه، وتارة انتَ مأخوذٌ بالتفكيرِ في هندستها وبديع صنعها ونظامها وكيف أخرجها مصورها بهذه الهيئة.

إذ إنّ من بين ما يحسب للثعالبي في منهجهُ التأليفي هو التنظيمُ والتبويبُ والسبقُ وابتكار المواضيع، وهو ما يناسب موسوعيتهُ التي اتاحت لهُ تأليف أكثر منْ ثمانين مؤلفاً فهو أديباً وشاعراً و مؤلفاً ، والملفت أنه أغنى تراثِ اللغةُ العربيةُ من جانبِ اللغةُ وما يتعلق بها منْ الوقوفِ على الكلامِ وتفسيرهُ ،وذكر ما يتعلق به من استعمالاتٍ خصه العربي بها ،وكأنه يؤرخ لكل كلمة تأريخاً خاصاً ،وهو ما فعله في كتابهُ فقهُ اللغةُ وسر العربية و كتبٌ أخرى، فهو كتاباً واقعياً ينقل حقائق ثابته في الذاكرة اللغوية للعربِ ، ومن جانبِ الأدب فقد رفده بعدة مؤلفات كان أكثرها شهرةٌ وهو أنفسُ ما جاد به كتابه المرسوم بيتيمة الدهر ؛ لانعدام نظيرهُ في ترتيبهِ وتبويبهِ و ما اشتملَ عليه، فهو أشبهُ بموسوعةٌ شعرية بقيت قيد التحديث طوال عشرين عاماً كل ما لمعَ في سماءِ العربِ شاعراً تجد الثعالبي قد بنى له حجرة واسكنهُ يتيمتهُ ، كما أنه حرصَ على الترجمةِ للكثير من الشخصياتِ ،حتى وصل الأمر بالنقاد للقول إنّ يتيمة الدهر قد حوت اغلب أدب القرن الرابعُ الهجري، وكتابِ النهاية في الكنايةِ المعروفُ بالكنايةِ والتعريضُ يجري مجرى سابقهُ ولعلهُ أقدم كتب التراث العربي التي افردت للكنايات بشهادة الكاتب نفسه التي أوردها في خطبة الكتاب ، الأمر الذي يثبت للثعالبي السبقُ و ابتكارِ المواضيع ، فجاء كتاب الثعالبي في ابوبٍ عدة تضمن الأولَ : الكناية عن النساء والحرم وما يجري معهنّ و يتصل بذكرهن من سائرِ شؤونهن و أحوالهن ، و الثاني :الكناية في ذكرِ الغلمان و من يقول بهم والكناية عن أوصافهم وأحوالهم ، والثالث في الكناية عن بعض فصول الطعام وعن المكان المهيأ له ، والرابع :في الكناية عن المقابح و العاهات ، والخامس :في الكنايات عن المرض والشيب والكبر والموت ،والسادس : فيما يوجبه الوقت والحال من الكناية عن الطعام والشراب وما يتَصل بها ،والسابع :في فنون شتى من الكنايات والتعريض ،وعند تصفح هذه الأبواب تجد أنّ المرأة حاضرة في بعضها بصورة من صورها .

هناك مقايسة اعتمدت عليها هذه الدراسة وهي مقايسة التمثيل وقوامها إخضاع النص لمنطق معرفي من خلاله نستطيع تفكيك النص استطيقياً أخذتها عن أستاذي في كليلة التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ذي قار : أ.م.جراح كريم الموسوي ، علماً إنها لم تطبق على أي دراسة أدبية سابقاً . [2] * .

صورة المرأة الممقوتة:

شكلتْ صورةُ المرأةُ الممقوتةِ جزءاً أساسياً من الصورةِ العامة للمرأةِ في الذاكرةِ المجتمعية العربية ؛ كونه مجتمعاً ذكورياً منذ تكوينهُ ،حيث يجد في ولادة الأنثى مصيبةٌ وعاراً يحاول جاهداً التخلص منهُ ، من خلالِ ظاهرةُ الوأد التي انتشرت في المجتمعِ الجاهلي فلم تغفلها اي من كتبِ الأدب ، ونتيجة لقوتها ورسوخها بشكل جلي في المجتمعِ فقد تطرق إليها القرآن الكريم أيضاً في محاولةِ للتخفيفِ من الكراهيةِ تجاهُ النساء ، لكنْهُ ((قد توارث هذهِ الكراهةُ الخلفُ عن السلفِ ، حتى إنه لما أراد بعضُ الإسلاميين أن يهنيء بعض الوزراء قديماً بابنةٍ وُلدت لهُ احتاج أن يذكر –تسلية له – ما في السماء و الأرضِ وما بينهما من الإناث ... مما هو بالتعزية أشب منه بالتهنئةِ . وأما التهنئةُ الصحيحةُ فإنما كانت عندهم إذا توفيت الأنثى))[2].

ولم يتخلى المجتمعُ العربي عن تلكِ الكراهيةِ للأنثى والهيمنة للرجلِ على المرأةِ حتى في عصورِ ازدهارهُ وحضارتهُ ،التي ازدادت قوةٌ وتأثيراً بما قدمتهُ الأديانِ من قيودٌ وحدودٌ سلوكيةٌ أصبحت ضابطاً لابد أن تلتزم المرأة به ، حيث كان الالتزامِ بالعفةِ والترفعِ عن العلاقاتِ الخارجة عن نطاقِ الزواج على رأسِ تلكَ القواعدِ السلوكية ؛ لذا كان قيامِ النساء بأي خرقٌ لتلك القواعدِ يجعلها ممقوتةٌ من قبل الرجل ، وكتاب النهاية في الكناية قد استحضر العديد من الشواهد الشعرية التي صورت المرأةَ الممقوتةَ ، وكانت متفاوتة في الزمانِ والمكانِ والثقافةِ المجتمعيةِ للشاعرِ ومنها قولُ ابن الرومي في المرأةِ الخائنة [3]:

أنت يا شيخُ نائمٌ فتنبّهْ و انتصِحْنِي فلسْتُ من غُشّاشِك

لك أنْثى تزِيفُ في كُلّ عُشّ و تُربى الفراخَ في أعشاشِك

أفصح النص عن صورة المرأة الممقوتة عبر عدة معانٍ:

المعنى الإيحائي / ألبسَ الشاعرُ لفظَ الشيخ لباساً تهكمياً ، أذ إنّ العرب تنادي به أجلالاً وهيبة للمنادى أن لم يكن كبيراً في السنِ ، وقد أفاد المعنين هنا من خلالِ تطويعُ لفظ الشيخ وما تلاه من صفةِ النوم لخدمةِ المعنى الضمني وهو أثباتُ الضعفُ والعجز التام ، فالنوم ما هو إلا صورة من صور الموت وليس على النائم حرج ، حيث يرى الشاعر وجوب تنبيهه و النصح له وهي نصيحة تفوح برائحة التشهير والفضيحة لخصوصية الموضوع الذي يطرح الخيانة الزوجية ،كونها نتيجة لضعف شخصية الزوج وعجزه ، فالشاعر((لم يقتصر في هجائه على الخير و الشر في الناس و الفضيلة و الرذيلة ، بل نظر في معنى أعمق : معنى السعادة و التعاسة ، و النجاح و الفشل ،والعدل والظلم ، فالهجاء الأخلاقي استحال في بعض جوانبه إلى هجاء فلسفي وجودي)) [4].

المعنى القيمي /متمثلا بتمزق المنظومة الاخلاقية للأسرةِ من خلال الإصرار على الخيانةِ وتكرارها بشكلٍ مثمرٍ كل مرة بولادةِ طفل مجهول الأب ونسبته للزوج ممّا يضاعف قباحة الفعل وخطورته على المجتمع الذي يراه فعلاً منافياً لكل القيم والأخلاق العربية .

المعنى الواقعي / متمثلاً بامرأة يعجز زوجها عن السيطرةِ على سلوكها المستهجن نتيجة لضعفه وشيخوخته ممّا يدفعها للاستمرار به.

وفي السياق ذاته يقول أبو القاسم الرسوري [5] :

و إذا الكريمُ أضاعَ مطلبَ أنْفه أوْ عرسه لِكريهةٍ لم يغْضبِ

لم تختلف رؤية الثعالبي لصورة المرأة الممقوتة من خلال هذا النص ، المتعلق بالحياء والعفة بوصفهما معادلاً موضوعياً لكرامة الرجل ، حيث يتناسب معها طردياً ، فتقل شهامته وتضمر غيرته كل ما خرجت المرأة التي تحت وصايته عن طهرها وعفتها ، فلا يرى في شيء من الأمور عيباً أو ما يستوجب الغضب ، ممّا يحيل إلى نقصاً في رجولته في المتخيل الاجتماعي الذي يرى بها كمالاً كل ما أحكم طوق حمايته لنسائه ، فالعرب((تقول : إنّ الجنين إذا تّمت أيّامه في الرّحم و أراد الخروج منه طلب بأنفه الموضع الذي يخرج منه)) [6]. وهو المعنى الذي أجتهد الشاعر في الكناية عنه.

وفي السياق آخر يقول البحتري [7] :

تزوجتها بعد إحراقها قلوب الندامى وإقلاقها

وكيف انبسطت و لم تنقبض لإجلاسها مع عشاقها

يُخضع المجتمع المرأة الحرة لمعايير خاصة ، اجتماعية وأخلاقية و جسمانية أحيانا ، لاختبار مدى صلاحيتها لمشاركة الرجل في بناءِ الأسرةِ وتربية أبناء صالحينَ ،وقد يتجاوز عن بعضِ هذه المعايير إلا ما كان له صلة بنسبها فالعرب كانت تعتز بالنسب الكريم وتثني عليه ، فتكون عملية اختيار الزوجة هي عملية تنقيب للفوز بالدرة الأكثر لمعاناً ، فكيف به إذ أراد أن يخالف كل المعايير التي وضعتها العرب في زيجاتهم ويتزوج من أمة مغنية ((وقد عاب العرب هذا الزواج لوجود دم أعجمي فيه))[8] حيث أستمرت هذه النظرة العنصرية تجاه الأعاجم حتى في العصر العباسي وأصبح لكل فريق منهم مناصريه الذين يقولون بأفضليته على نظيره. ((وقد عرف عن العرب أنهم كانت لهم مقاصد بعيدة في الزواج قل أن توجد كلها عند امة من الامم الاخرى . فكان من مقاصدهم التناسل و انجاب الاولاد الاقوياء لا المتعة فحسب ، ومن مقتصدهم : اجتذاب البعداء، وتأليف الأعداء لما فيه من مواصلة و تمازج . كما قصدوا من الزواج أعمار البيوت و الاستعداد للقيام بخدمة الضيوف و تدبير المنازل)) [9] . و النص يكشف عن صورة ممقوتة للزوجة وهي من أكثر النماذج

التي يستهجنها المجتمع العربي وهي الزواج من قينة ، من خلال أسلوب استفهامي تعجبي قائم على استهجان حالة السعادة والرضا التي كان عليها الزوج إذ لم يجد ما يقلقه في مجالسة زوجته لرجال آخرين هم أرغب إليها منهُ . فتمقت المرأة لسوء خلقها ولعقمها وحيث شهد العصر العباسي ((انتقال المرأة الحرة على الصف الثاني وحلول الجارية محلها في الصف الأول بالنسبة للكثير من الرجال))[10] .

ومن الصور الاخرى للمرأة الممقوتة التي تتبعها الثعالبي في عرضه للشعر العربي مستشهداً للكناية المتصلة بالمرأة قولهم [11]:

أبوك أراد أمك حين زفت فلم يوجد لأمك بنت سعد

فبنت سعد هي عذرة بنت كعب ، حيث كشف الشاعر عن صورة ممقوتة ، في نص هجائي قائم على عدة معانٍ :

المعنى الواقعي / رجل اصبح ابنه عرضة للهجاء و الذم لأن تزوج من امرأة غير عذراء.

المعنى القيمي / أفضلية المرأة التي تتزوج وهي مازالت عذراء على المستوى الأخلاقي والاجتماعي من غيرها وعدها أكثر أمانة وصيانة لنفسها وبالتالي صيانة الأسرة الجديدة التي هي بصدد تكوينها . ((فالعرب كانوا يستقبحون أن تزني الحرة ، فقد عيب على هند بنت الحسن حينما زنت بعبدها)) [12] .

المعنى الإيحائي / استحضار الشاعر لشخصية اجتماعية وهي بنت سعد لغرض توظيف اسمها توظيفاً معنوياً إيحائياً أفاد الدلالة على العذرية بعد التنبيه إلى أن بنت سعد هي عذرة بنت كعب .

ومن الصور الكنائية التي جاءت في كتاب الثعالبي كناية عن قبح الرجل و أتصلت بصورة المرأة الممقوتة بشكل مختلف قول أبو نؤاس [13]:

وقائلةٍ لها في وجه نصح علام هجرت هذا المستهاما

وكان جوابها في حسن مس أأجمع بين هذا و الحراما ؟

لا شك أن التطور الذي وصل إليه المجتمع في العصر العباسي من الترف و الراحة وفي مختلف المستويات ، قد تسرب إلى نفوس الناس أيضاً فتغيرت أفكارهم وظهرت تيارات فكرية وفلسفية جديدة ، فضلاً عن أنتشار الحانات وكثرة الجواري والغلمان ، كل ذلك جعل الاهتمام ينصب على الجمال واللذة و التفنن في البحث عنهما فلم يعد الرجل وحده يبحث عن الجمال في من تشاركه عاطفته بل حتى النساء والنص يعرض صورة امرأة ممقوتة اجتماعياً عبر عدة معانٍ: المعنى الواقعي / امرأة تبحث عن الحبيب ذو الوجه الجميل الذي يزيد الحب لذة وشغف وتقدم هذه الحاجة على الحب ذاته فتهجر من هو هائماً بها لقبحه فقط . المعنى القيمي / الموازنة التي عقدها الشاعر على لسان المرأة بين الوجه القبيح والزنا تكشف عن أهمية الجمال لديه وسطوته على وجدانه مثل سطوة الحلال والحرام ،حتى أنه يرى في قبح الحبيب والزنا اثمين يشفق على نفسه من الجمع بينهما .

المعنى الإيحائي / يوحي النص بفقدان الهيمنة الذكورية للرجل العربي على المرأة التي كان يفرضها لعصور من قوته وفروسيته أما ضعف ولين ونعومة الغلمان وحسنهم الذي جعل النساء تفتتن بهم فلم تعد الشجاعة تشفع للقبح أو تجعله مقبولاً . كما أن حضور الزنا في النص بوصفه سلوكاً مقصوداً يوحي إلى ما ترسخ في المتخيل العربي من أن الحرة لا تزني وهو فعل أقتصر على الإماء فقط ((و الدليل على أن البغايا كنّ من الإماء ، أن اللغة تطلق البغاء على الفجور في الإماء خاصة ، و تطلق البغي على الأمة)) [14] .

صورة المرأة المصون :

ربما لم تستطع العرب وضع النساء في مرتبة واحدة من النعيم المادي في عصورهم الأولى؛ نظرا لصعوبة الحياة العربية التي تنطوي على الكثير من المشقة والتعب، إلا أن ذلك لا ينفي وجود صورة عامة للمرأة على مستويين عمل العرب على بلورتها ورسوخها في المخيلة الاجتماعية ، وأحبوا أن تعرف بها نسائهم تمييزاً لهن عن الإماء، فعلى المستوى المادي حالة الدلال المفرط و الترف الذي تصوره نصوصهم الشعرية من وجود من يخدمها فلا تمارس إي من الأعمال اليومية وصولا إلى زينتها وملابسها ، وعلى المستوى المعنوي نجد أن المرأة العربية كانت تناصف عمل الآلهة فقد عرف أنهم يوقفون حربهم أذ كشفت امرأة عن شعرها وسط المتحاربين جلالة و كرامة لهذه القدسية التي هتكت ،حيث كانت الحرة هي من تتحجب فقط وهو تقليد قديم نجد له سلوك مشابه في حضارة وادي الرافدين((حيث وصل الحرص على التفرقة بين الحرائر و الإماء ، حد توقيع عقوبات قاسية على من يرى أمة أو عاهرة محجبة في الطريق ، ولا يقوم بتقديمها إلى القصر لتلقى جزاءها وذلك بأن يخلع عنه ثوبه و يجلد خمسين جلده)) [15] .

و قد حرص العربي على صيانة المرأة الحرة ليس في تغيبها عن أنظار العامة فقط بل حتى تغييب اسمها في شعره فلا يصرح به و يكتفي بالرمز والإشارة فلم يكن هذا النعيم المعنوي حكراً لواحدة دون غيرها بل تساوت فيه أغلب الحرائر مع فوارق في المستوى لقبائلهن وقد ضمن الثعالبي كتابه النهاية في الكناية الكثير من النصوص الشعرية التي تكشف عن صورة المرأة المصونة والمنعمة في عصور مختلفة بصورة رمزية حيث كانت ((العرب تكني عن المرأة بالنعجة و الشاة و القلوص و السرحة و الحرث و الفراش و العتبة و القارورة و القوصرة و النعل و الغل و القيد و الظلة و الجارة و بكلها جاءت الأخبار و نطقت الأشعار)) [16] .كما في قول عنترة [17] :

يا شاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حَلّتْ لَهُ حَرُمَتْ عَليّ وَ لَيْتَها لَمْ تَحْرُمِ

يتحدث النص عن المرأة العربية المصونة بشكل غير مباشر عبر معانٍ ثلاثة: المعنى الواقعي / صياد يبدي أعجاباً شديداً بفريسته و تحسراً عليها ؛لأنه لا يستطيع اصطيادها ، أذ يتعذر عليه الوصول إليها لسبب قطعي لا يستطيع مراوغته فعبر عنه بالحرمة .

المعنى الإيحائي / يضع الشاعر للنص معنى موازياً تكشف عنه كلماته بالتتابع فالشاة امرأة أعجب بها فكتم أعجابه رغم ما أظهره من القوة والفتوة التي يستطيع معها الوصول إلى ما يشاء، حيث عبر عن نفسه بصورة الصياد وكانت هي الشاة الطرف المستضعف في الصورة ، والحرمة التي يتألم لوجودها ويتمنى زوالها هي حرمة الجوار فهذه المرأة هي من نساء جاره و قيل هي زوجة أبيه ،فلا يحل له وصالها. والشاعر بذلك وضع صورة للمرأة المصونة عبر تعرضه لذكر حرمانه منها وأسبابه، وكل ذلك عبر صورة يلفها الرمز فلا يصرح حتى بذكر وجودها البشري بل يكنى عنها بوجود حيواني أنثوي عرف باللين والانقياد والضعف.

المعنى القيمي / عدت العرب حماية الجار والذب عنه والترفع عن التعرض لنسائه خلق رفيع قد جبلت عليه واعتزت به، فلا تصريح بالاسم ولا تعريض بالرسم وإنما يشار إليها بالرمز استكمالا لعفتها ومصداقاً لغيرة الرجل عليها. إذ إن ((امرأة هذا شأنها من العفة و الصون لا يمكن سفورها إلا عند الشدائد و لهذا جاء كثير من شعر العرب في تصوير وقت الشدة مرتبطا بسفور النساء و فزعهن، لأن الشاعر العربي نشأ في بيئة ليس من عاداتها سفور الحرة إلا في وقت تشتغل فيه المرأة عن نفسها لهول الأمر)) [18] . وهو أمر ثابت في المخيلة العربية حيث نجد قصائد الشعراء الأوائل زاخرة به .

ومن ذلك قول رجل من مغزى كان فيه إلى عمر بن الخطاب يوصيه بنسائه [19]:

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخي ثقة أزاري

قلائصنا هداك الله إنا شغلنا عنكم زمن الحصار

إن أكثر ما تخشاه العرب في حروبها سبي نسائها ،فالمرأة هي عنوان كرامة العربي أجتهد في حمايته والدفاع عنه حتى الموت ،فقد كان أكثر ما يثير قلق الرجل منهم أذا فارق أهله أن تهتك حرمة منزله ، أو أن يدنس عرضه ، والشاعر هنا لم يفارق هذا المفهوم عبر عدة معاني رسم من خلالها صورة المرأة المصونة :

المعنى الإيحائي/ الشاعر يوصي عمر بن الخطاب بنسائه فلم يصرح بذكرهن بل أختار لفظ خاص للكناية ، هو القلائص ونسبها لنفسه والقلائص هي الإبل طويلة القوائم ، وهو بذلك رسم صورة خاصة للمرأة المصونة، فالعرب كان تعطي للإبل بعض صفات نسائها ومن هنا جازت الكناية بها ، لكنه بدأ حديثه بشكل ودي فأختار تسميته بالكنية من باب التحبيب واستمالة لعاطفته ثم أنه أراد أن يثبت لهذا الرجل قوته و سطوته التي جعلته محط ثقة الشاعر فوصفه بصاحب الضربة التي لا تحيد عن هدفها .

المعنى الواقعي / شاعر يوصي أخيه الذي لا يرتفع عنه منزلة بإبله بسبب بعده عنهن فلا يستطيع رعايتهن وهذا البعد يتضح من قوله "ابلغ " الذي يدل على قربهن من هذا الرجل و بعدهن عنه .

و منه قول حميد بن ثور [20] :

أبى إلا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاة تروق

لم يغفل الشاعر العربي في غزله أو مدائحهُ المرأة المصونة العفيفة التي لا يرى لها ظل لشدة حيائها ، بل أنهم كانوا يمتدحون الرجل بعفة نسائه وحسن سيرتهن ، لكن هذا المديح لا يجري فيه ذكرهن بشكل مباشر بل أن أغلبه قائم على الرمز ، حيث أن هنالك كنايات ارتبطت بالنساء في المتخيل العربي يختار منها الشاعر ما يغذي صورته،((و على نحو ما كانت الأمهات مادة شعرية بأيدي المداحين من الشعراء كن مادة شعرية بأيدي غيرهم من الغزلين . ولم تحل هيبة الحكام و الأمراء دون ذلك ، فقد مضى هؤلاء الشعراء يتعرضون لأمهاتهم و يتغزلون بهن فيما عرف في تأريخ الأدب العربي " الغزل الكيدي" أو "الغزل السياسي"))[21] .

وقد عالج هذا المشهد الأنثوي من خلال عدة معانٍ :

المعنى الواقعي / يشاء الله أن تنمو شجرة مالك السرحة و هي شجر كبار عظام الطول لا يرعى وإنما يستظل فيه له ثمر اصفر ، فتفوق غيرها من الأشجار جمالاً حتى أنها تبدو أجمل من الفنن الغصن المستقيم طولا وعرضا.

المعنى الإيحائي / يختار الشاعر من الوجود الحي للنبات معادلا موضوعياً للوجود الأنثوي لما يمنحه له من قدرة على احتوى صفات لا متناهية يريد الشاعر اثباتها لهذه المرأة ، أولها العفة وصيانة النفس عن الرذيلة، فقد كنى عنها بشجر لا يرعى فلا يكون طعاماً للحيوانات بل يستظل به و هذا يوحي ايضا بقدرة هذه المرأة على الحماية والإجارة ، لعلو منزلتها وارتفاع شأنها في قومها الأمر الذي يؤكده تفضيل الشاعر لها على قريناتها ،اللاتي عبر عنهن بأفنان العضاة استكمالاً للصورة النباتية التي ترمز للمرأة المصونة ،فلم تقتصر على بطلة الموقف فقط بل حتى قريناتها على طريقة المنصفات في القصائد الحربية جعل الشاعر قريناتها أجمل منها .

ومنه قوله أيضاً [22]:

ومَالِيَ مِنْ ذَنْبٍ إليْهِمْ عَلِمْتُهُ سِوَى أنَّني قَدْ قُلتُ يَا سَرْحَةُ اسْلَمى
نَعَمْ فاسْلَمى ثمَّ اسْلَمى ثُمَّتَ اسْلَمى ثَلاَثَ تَحِيَّاتٍ وإنْ لمْ تَكَلَّمى

وفي سياق مختلف ينتقل الشاعر إلى مقام آخر، من المدح إلى حديث مع الذات يشوبه الحزن واللوعة ، لكنه لا يفارق النسق العام الذي يعالج عبره الوجود الأنثوي في قصيدته الذي يفهم عبر عدة معانٍ :

المعنى الواقعي / ينفي الشاعر عن نفسه أي ذنب قد أقترفه بحق هؤلاء القوم ، إلا تحية ألقاها على شجرة مع تأكيده عليها من خلال تكرار التحية ذاتها ثلاث مرات ، وهو أمر قد يبدو لا ضير فيه فما المانع من محادثة الأشجار ؟

المعنى الإيحائي/ يأتي حديث الشاعر ضمن سياقاً دفاعياً يوحي بوقوعه في محل لوم ومحاسبة على خرقه لقاعدة عرفية في مجتمعه ، وهي التصريح بعاطفته لامرأة ما بشكل غير مباشر ، فقد كانت الشجرة " السرحة " التي يحيها الشاعر في النص هي حبيبته ، ولا يخلو اختياره الوقوف على العدد ثلاثة في تحيته من رمز ما ، لأن لهذا الرقم دلالة محببة وارتباطات مقدسة لدى العرب فقد كانوا يتفاءلون به و يتشأمون من التثنية ففي التراث ((أذا تردد عربي أمام قرار عليه أن يتخذه كان يختار ثلاثة سهام ، فيكتب على الأول سيدي يأمرني و على الثاني سيدي يمنعني و على الثالث لا شيء ،ثمّ يضع السهام في جعبته و يسحب سهما و ينفذ الأمر و أذا سحب السهم الثالث ، يعيد السحب بالقرعة من جديد)) [23] .لذا فأن الشاعر قد أكد على التحيات الثلاث تفاؤلاً بدوام الوصال بينهما حتى وأن لم يكن بالكلام.

المعنى القيمي / كان لبعض النساء مكانة اجتماعية أو سياسية أو دينية كأن تكون متزوجة فلا يجوز التشبيب بها أو أن تكون ابنة رجل له سلطة معينة أو احدى نسائه ، فيمتنع الشعراء عن ذكر اسماءهن حتى في القصائد المدحية أو التهنئة في ما يخصهن من مناسبات ، بسبب تمسك العرب بصورة المرأة المصونة التي يجب أن تكون عليها نسائهم ، فلا يصح أن تجري أسمائهن على لسان الشعراء .

ومنه قولهم [24] :

أذا أكل الجراد حروث قومٍ فحرثي همه أكل الجراد

يمتدح الشاعر نفسه بعفة وحسن سلوك أهله ، عبر الموازنة التي عقدها بينه وبين غيره التي تتضح في معانٍ مختلفة :

المعنى الواقعي / مشهداً شعرياً يصور مقارنة بين أرضين مزروعتين ،أحداهما أتى عليها الجراد ، فأكل زرعها ، والأخرى كان الجراد فيها مأكولاً لا أكلاً .

المعنى الإيحائي / تنازع المدح والذم النص كلاً أخذ منه جانباً ، أجتهد الشاعر في استكمال أبعاد كل جانب من الصورة ، فكانت الأرض الحروث في صدر البيت كناية عن النساء، لكنها قد وظفت توظيفاً سلبياً يوحي بسوء هؤلاء النسوة ، فالجراد كناية عن خائن ما قد عاث فساداً في بيوتهن وهتك سترهن وأكل ثمار عفتهن ، هذه الصورة السلبية التي قدمها الشاعر لذم هؤلاء القوم بسلوك نسائهم كانت تمهيداً لحديثه الأساس وهو المدح و الفخر بصورة إيجابية لنسائه صورة المرأة المصونة ، التي تحافظ على نفسها وتحمي بيتها من أي يد قد تمتد إليه أو لسان سوء ، فهي قوية و شجاعة كفاية للتغلب على أي شخص يطمع بها .

المعنى القيمي / معالجة الحوادث السلبية التي تسيء لسمعة الآخرين باحاديث رمزية ، حفاظاً على خصوصيتهم ومنعاً للحرج والتشهير بهم، حين يتعلق الأمر بعفة النساء فقد اقتضت غيرة العربي وحميته أن يستر ما يراه بهذا الخصوص لأنه يعد كل نساء قبيلته نسائه و أهله .

ومنه قولهم [25] :

أفلح من كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة

لا يغادر الشاعر النسق العام الذي طرح من خلاله سابقيه موضوعيهما بشكل متقارب متحدثين عن الصورة المصونة للمرأة العربية بواسطة الكناية، التي تكشف الموضوع الأساس للنص أمام المتلقي من خلال عدة معانٍ:

المعنى الواقعي / يحصل على نتيجة جيدة ومثمرة وفاز من كانت له "قوصرة" وهي وعاء يجمع فيه التمر ، يأكل من وعاء التمر كل يوم مرة .

المعنى الإيحائي/ يتحدث النص عن النساء ولكن بشكل رمزي إيحائي يكتشفه المتلقي الحاذق ، فالشاعر يثني ويحمد من كانت له زوجة فقد فاز وحصل على مراده ،ويكنى عن الزوجة بالقوصرة لعلاقة بينهما فالتمر مادة مفيدة لجسم الإنسان فضلاً عن كونها مادة أساسية في النظام الغذائي للعرب قديماً ، فوجودها معادلا للحياة ، وكذلك وجود الأنثى في حياة الرجل بشكل فاعل ومغذي على الصعيد النفسي والاجتماعي يقوم شخصيته ويؤدي الوظيفة نفسها التي يؤديها التمر للجسم ، إما عن الشطر الثاني للبيت فقد تحدث الشاعر عن الأكل وقد حدده بالمرة الواحدة و هي كناية عن العلاقة التي تجمع الرجل بزوجته .

المعنى القيمي / نظرت الشعوب على اختلاف ثقافاتها إلى الزواج بوصفه فعل يهدف إلى غاية سامية وعلاقة مقدسة لابد منها ، فلا يتحقق الاستمرار للجنس البشري بدونه ،فوجود المرأة في حياة الرجل يساعده على تحصين نفسه ضد التمزق والتهتك الاجتماعي من خلال إقامة اسرة والركون إليها .

صورة الزوجة :

تؤثر المرأة بصورتها الزوجية على حياة الرجل العربي بشكل ملحوظ ، فتدور حولها الحروب وتشن الغارات حتى يضفر بها، ومن ثّم تصبح الزوجة مرآة لشرف زوجها وماء وجهه الذي أن تعكر لسوء خلق تعكرت لأجله حياته وحياة نسبه ، لذا فقد أمتدح العربي في مختلف العصور الزوجة الصالحة لعفتها وشجاعتها وأمانتها ونجابتها وصبرها على قساوة العيش وكثرة المصاعب ، وإن أكثر ما يمتدح به العرب زوجاتهم هو كثرة الأولاد فقد كان للمرأة المنجبة للذكور مكانة رفيعة في المجتمع العربي ؛نظراً لضرورة الأولاد لحماية النسب وتكوين عائلة قوية في وسط قاسي مثل الصحراء العربية ، حيث((تحترم العرب الزوجة المنجبة ، التي ينبغ أبناؤها ، ويكثر عددهم ، ولم تكن العرب تعد المرأة منجبة ، من لها أقل من ثلاثة بنين أشراف ، ويعود اهتمامهم بالنساء المنجبات ، إلى نظرتهم للزمن ، وتعلقهم بالحياة المعرضة للقحط و الحروب ، لذا فالعناية بالمنجبات ، معادلة أو موازنة بين الحياة و الموت)) [(26)]. وتمقت المرأة لسوء خلقها ولعقمها. ومن تلك الصور التي دارت حول الزوجة في كتاب النهاية في الكناية قول أبي الحسن الجوهري الجرجاني من قصيدة المصاحب يذكر استعداده للسير إلى حضرته و يكنى عن طلاق امرأته [(27)] :

جوادي قدامي و ذيلي مشمر

وقلبي من شوق يجيء و يذهب

و قد كنت معقولاً بأهلي مقيداً

و ها أنا من ذاك العقال مسيب

يضم النص الشعري هذا الكثير من الحركة والاضطراب التي تبرز منها مشاهد مختلفة كان ركيزتها حادثة الطلاق ،أثر انتقالات الشاعر بين الداخل و الخارج في حركة سريعة و شاعرية ملفتة تتضح للمتلقي عبر عدة معانٍ :

المعنى الواقعي / رجل مشمراً عن ثيابه مستعداً لحركة سريعة يتقدمه جواده ، يتحرك قلبه لشوقه حركة الأنس جيئة وذهاباً ، ينتقل من حركة القلب إلى حديث أكثر عمومية عن مشهد خارجي يكون فيه مقيداً بقيد إلى أهله لكنه ما يلبث أن يتحرر من ذلك القيد .

المعنى الإيحائي/ احتوت هذه الأبيات على ثلاث مشاهد مختلفة ، لكنها ترتبط مع بعضها بخيط خفي يوصل القارئ للمعنى الباطن ، فالجواد حينما يتقدم فارسه وهو مشمراً عن ثيابه متأهب لركوبه و الانطلاق به هذا المشهد إنما يوحي بأهمية هذه الرحلة للشاعر و عظمة المقصود إليه في نفسه ، لكن الاستعداد المادي الذي قدمه الشاعر لا يكفي وحده فينتقل إلى الحديث عن الاستعداد الداخلي الذي انتقل فيه الاضطراب من حركة

الفرس و الثياب إلى القلب ، فيبدو مضطرباً هو الأخر في حركة غير مستقرة لما أصابه من حالة الشوق ، ولا يغادر الشاعر في المشهد الثالث الحديث الوجداني لكنه قد أتصل بزوجته وعاطفته نحوها فصور شدة تعلقه بها وقوة رابط الزوجية بالقيد ، الذي أنفك لوجود أمر جسيم قد حل بالشاعر فوقوع الطلاق هنا يوحي بعدم نهاية هذه الرحلة فالشاعر في سفر غير منتهي ، فالعلاقة الزوجية علاقة مقدسة لدى العرب فلا يتخلى العربي عن زوجته إلا لأمر لا يستطيع مواجهته .

المعنى القيمي / وجود جانب إيجابي للطلاق ، بوصفه فعل حالة من التفكك على مستوى معاكس، فهي تبعثر هذا الرجل في سفر دائم و رحلة طويلة يقطعها وحيداً ،في حين تحمي المرأة من تحمل أعباء الحياة الزوجية و متاعبها من صعوبة العيش في ظل غياب الرجل ، أذ إن الطلاق هنا يبيح لها الشروع في علاقة جديدة بالتالي وجود شخص قارد على حمايتها نظراً لصعوبة حياة الانثى وحيدة في مجتمع ذكوري مثل المجتمع العربي .

ومنه قولهم [28] :

و اني لمحتاج إلى موت ظلتي

ولكن متاع ال سوء باقٍ معمرِ

يصور النص الشعري صورة سلبية للزوجة عبر الكناية التي أجتهد الثعالبي في جمعها بين دفتي كتابه، فجاء اختياره لهذه النصوص بدقة شديدة تبدو للمتلقي من خلال مطالعته لها ، فالشاعر هنا تحدث عن زوجته مازجاً بين وجودها البشري في حياته وبين الوجود المادي للأشياء يفهم ذلك عبر عدة معانٍ:

المعنى الواقعي / يدعو الشاعر بالموت على شيء مبهم غير واضح للمتلقي أذ يسميه الظلة وهناك الكثير ممّا يستظل به فلا نعلم أيها مقصده ، يؤكد على هذه الامنية عبر تقديمة الحديث عن الحاجة فهذا الموت المتمنى هو أكثر حاجاته إلحاحاً ، ثم ينتقل الشاعر في البيت التالي للحديث عن الأشياء البالية التي لا قيمة لا لها أو البضائع السيئة التي لا يطمع فيها أحد فيتقدم لشرائها ، فتبقى حتى تصل إلى درجة من القدم تكون فيها معمرة .

المعنى الإيحائي / قصد الشاعر "بالظلة " زوجته وهو وصف متناقض في ذاته ، أذ إنه يكنى عن وجود زوجته في حياته بالظلة وهي ما يستظل به الإنسان من شجر أو دار أو جبل، ومن ناحية أخرى يعلن عن حاجته الشديدة إلى موتها والخلاص منها ، لما يمثله وجودها السلبي في حياته من ألم و معاناة ، وهو ما يستشفه المتلقي من المقارنة التي عقدها الشاعر في البيت التالي حيث قدم حجة منطقية ودليل حكيم على كرهه لزوجته ، فهي باقية في حياته بقاء مستمر وقد أكد هذه الاستمرارية بصفة معمر التي حضي بها المشبه به فهي عنده مثل بضاعة سيئة لا فائدة منها .

المعنى القيمي / قوة الرابطة التي تربط العربي بأسرته فهي لا تنفك حتى مع الكره الشديد والتباغض بين الأزواج الذي يصل حد تمني الموت لبعضهما على أنه حل للفراق ، في حين لا يتطرق إلى التفكير في الطلاق بوصفه حلاً مقبولاً للخلاص من هذه العلاقة فنجد ((إن الذين اشتغلوا بدراسة الحضارة الاوربية أوضحوا أنهم لم يجدوا لمثل هذا الحب والاحترام للزوجة أساساً في حضاراتهم القديمة ، يونانية أو لاتينية ، سواء في عصورها الذهبية أو الفضية ، و رأوا أن هذا الحب و التقديس للزوجة أنما نشأ في بلاد العرب ، فحمله رجالهم الفاتحون هدية إلى أسبانيا في ركاب الدعوة الاسلامية الكريمة ، هو فضيلة من فضائلهم الجمة على الحضارة و الانسانية)) [29] . و ربما كان ذلك بسبب التكوين النفسي لشخصية العربي التي تأبى التخلي عن من هم أضعف منه وهو قادر على توفير الحماية والرعاية لهم .

و في سياق مختلف قول الأعشى [30] :

يا جارَتي بيني فَإِنَّكِ طالِقَه كَذاكِ أُمورُ الناسِ غادٍ وَطارِقَه

يعلن الشاعر عن الطلاق بوصفه حدثاً عادياً عبر شبكة من الرموز التي سيطرت على البيت الشعري بشكل كامل، حمل كل خيط منها معنى خاصاً يتتبعه المتلقي حتى يصل إلى صورة الزوجة التي قصدها الشاعر وهذه المعاني هي :

المعنى الواقعي / ينادي الشاعر جارته و يأمرها بالمفارقة ثم يفصح عن السبب وهو الطلاق ، فيقرن هذا الحدث بحركة الناس في الصباح والمساء .

المعنى الإيحائي / كان الطلاق هو الحدث الأساس الذي بني عليه هذا البيت الشعري ، والحديث عن الطلاق يجعل الذهن يستحضر وجود علاقة زوجية الشاعر أحد أطرافها ، والطرف الثاني حاضراً بصورة غير مباشرة فقد كنى عن زوجته بالجارة ، والعرب كانت تكني عن الزوجة بكنى عديدة لكن وقوع الاختيار على هذه الكنية لا يخلو من القصدية ،فالجوار علاقة لا تتصف بالديمومة فقد يكون المجير أمس جاراً اليوم ولا توحي بحاجة الرجل و ضعفه بل هي تعزز من هيمنته على المرأة و قوته إذ إن ما يحكم علاقة الجوار هو ((ميزان القوة في كفة و الضعف في كفة أخرى . فإذا قوي شخص أو قبيلة أو فئة لسبب من أسباب القوة ، وضعف شخص أو قبيلة أو فئة لسبب من أسباب الضعف، أتى الجوار بين الضعيف و القوي على كيفية تحددها اللحظة التي يتم بموجبها الجوار))[31]. و قد ربط الشاعر بين هذه الحركة من الطلاق وتغيير محل إقامة الزوجة التي في أول البيت بتحرك الناس لشؤونهم ،فلا يوجد شيء ثابت على صورة واحدة إلى الأبد .

المعنى القيمي / قدست العرب علاقة الجوار وحرصت على الوفاء للجار وحمايته ، فلا تنفك هذه العلاقة إلا بموت أحدهما أو زوال الحاجة من الجوار ، فالشاعر حينما كسر علاقة الزواج التي صورها بالجوار ، وأمر زوجته بمفارقته قدم بين يدي القارئ سبباً لا يظهره بمظهر من يهتك الجوار و يتخلى عن جارته .

و في سياق مختلف يقول الفرزدق [32] :

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أنّ المنايا أنشأته لياليا

يلجأ الشاعر إلى الرمز و الكلام المضمر في حالات خاصه يمتنع فيها عن التصريح لأسباب خارجية تتعلق بالأخلاق العامة و التقاليد و السلطة ، وأحياناً أخرى لأسباب داخلية تتعلق بذات الشاعر والحالة النفسية التي تسيطر عليه في تلك اللحظة، والفرزدق في هذا النص قد تملكه الحزن الشديد الذي يتضح للمتلقي عبر عدة معانٍ في صورة الزوجة التي تحدث عنها:

المعنى الواقعي / يتحدث الشاعر عن فقدانه لأحدى مقتنياته غِمْد سيفه ، غير مكترثاً لفقدانه لكنه حينما يسترسل في قصيدته تلمح منها شيء من التحسر على ذلك الغِمْد لأنه فقد معه سيف ثمين وذو مكانة لدى الشاعر .

المعنى الإيحائي/ لم يكن الفقد الذي أبتلي به الشاعر هنا لشيء مادي ، بل أن غايته من هذه الكناية رثاء زوجته ، عبر صورة تحفظ لها مكانتها في حياته أمام الاخرين ، فقد كنى عنها بجفن السلاح وهو الغطاء الذي يحفظه ، وصفة الحفظ هذه التي يعمل عليها الغمد للسيف يقابلها معنى ضمني فالشاعر يمهد للمتلقي عن حمل زوجته المتوفاة ، ومدى تأثره على فقدان ذلك الجنين فهو يتأمل فيه الحماية و العون كما يتأملها المرء من سلاحه وهو ما يفصح عنه في البيت التالي، فهو يتحدث عن طفله وقد نمت له أسنان ثم يستدرك بألم وحسرة شديدة أن الموت لم يمهله حتى يبلغ هذا العمر.

المعنى القيمي / يسقط أكثر الرجال صلابة أمام موت الأبن أذ إن هذه الحوادث من شأنها أن تكشف عن العاطفة الإنسانية في صدق شديد ، وقد فضلت العرب المرأة الولود على غيرها من النساء ، نظراً لأهمية الأبناء في حياتهم التي تعتمد على الصراعات و النزاعات ، وقد كشف النص عن الأثر الذي يحدثه فقدان هكذا زوجة في المجتمع العربي قديماً ، ولاسيما أنه كان فقداً مضاعفاً .

ومنه قولهم [33] :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم أشها المطي إلي مالم يركبِ

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبةٍ لبست و حبة لؤلؤ لم تثقبِ

لطالما كانت العلاقات التي تتميز بفارق السن الكبير بين الزوجين مستهجنة من قبل العقلاء والحكماء ، نظراً لأسباب عديدة قد تؤدي إلى فشلها نتيجة لانعدام التكافؤ بين الزوجين ولاسيما من الناحية الجسمانية ولعلها من أهم النواحي في نظر العربي ، إذ لم نسمع عن قصة حب في التراث العربي القديم جمعت بين شيخ كبير في السن وامرأة صغيرة ، والبيت الشعري يدور حول هذا المحور عبر عدة معانٍ :

المعنى الواقعي / يواجه الشاعر بعض اللوم والتعجب من قبل مجتمعه بسبب علاقة عاطفية جمعته بامرأة صغيرة في السن ، فيُجيب أن اكثر الخيول التي تنال أعجابه هي التي لم تركب قط ، ثم يختم حديثه بكلام أخر عن الفرق بين اللؤلؤ المثقوب و قد لبس وبين حبات اللؤلؤ التي لم تثقب بعد .

المعنى الإيحائي / يتضح من طريقة عرض الشاعر لهذه المشكلة وجوابه الذي دافع به عن نفسه ، أن الغاية من هذه العلاقة لم تكن خالصة للحب فقط ، بل هي علاقة قائمة على الغريزة الجنسية ، يدل على ذلك اختياره لفظ "أشها" بدل من أجمل و كأنها طبق يؤكل ،لكن مشكلة الفارق في السن لم تكن هي محور حديث الشاعر بل أنه عبر عدة كنايات أراد أن يؤكد على تفضيله للمرأة العذراء في الزواج عن غيرها ،حتى مع عدم وجود أي ميزة لها أو لمحة من الجمال ، وربما كان الأمر متعلقاً بالطبيعة النفسية للشاعر التي تأبى أن يتزوج امرأة سبقه إليها أحد وله في ذلك وجهة نظر جمالية قد اسقطها على العلاقة الزوجية من خلال الكناية باللؤلؤ المثقوب الذي فقد بريقه وجماله نتيجة لكثرة مناقلته بالأيدي و اللؤلؤ الذي لم يثقب فبقي محافظاً على بريق و لمعان خاص.

المعنى القيمي / الحرص على الزواج من امرأة عذراء لدى الشاعر العربي يتوقف على أسباب كثيرة اجتماعية و نفسية وجسدية ،تصب كلها في مصلحة العلاقة الزوجية و الحفاظ على ديمومتها، لكن هذا لا يعني نجاح تلك العلاقة مع وجود فارق السن الكبير الذي يخلق فجوة بين الشركين .

نتيجة:

1- أغلب النصوص الشعرية التي تضمنت صورة من صور المرأة في كتاب النهاية في الكناية نظراً للغاية الأسلوبية " الكناية "التي اقتضت من الشاعر وضعها بهذا الشكل ، فقد احتوت هذه الأشعار على معنى أول واقعي و معنى ثاني يحيل إليه إيحائي ومعنى ثالث قيمي ، فهنالك دال و هو المعنى الواقعي يحيل إلى مداول و هو المعنى الإيحائي الذي يلد بدوره المعنى القيمي للنص .

2- الضعف و اللين وهيمنة السلطة الذكورية كان قاسماً مشترك بين كل الكنايات التي جمعها الثعالبي للمرأة في شتى صورها عبر فترات زمنية مختلفة ،وثبات المعايير التي تمقت لها المرأة عند العرب فلم يعمل الزمن على أزاحتها لأنها ارتبطت بثبات الأخلاق النبيلة العامة لدى الإنسانية جميعاً التي لا تتغير بتغير المجتمعات و الأديان من الصدق و العفة و الإحسان و غيرها .

3- المجتمع يستهجن الزواج من النساء سيئات السمعة وعدها نقطة ضعف للرجل .

4- وفي أحيان كثيرة كان الخوف هو الباعث على الكناية عن المرأة المصونة خوفا من بطش السلطة عند الحديث عن نسائهم ، وخوفا من الهجاء و التعريض في صورة الزوجة فلا يفصح الشاعر عنها شخصياً.

5- تضمن كتاب الثعالبي حديث ضمني عن الطلاق عبر الكناية ربما لأنه يمثل نوع من الهدم العاطفي فيتجنب الشاعر الإفصاح عنه بحديث مباشر، إذ يشوبه الذنب لكراهته في الإسلام لسبب ديني ،وكراهته في الجاهلية

لسبب اجتماعي و نفسي يتعلق بالتكوين النفسي لشخصية الرجل العربي الذي يسعى لتوفير الحماية لمن حوله .

الهوامش:

(1)*التعالق النصي بين الرواية و التأريخ ، أ.م.جراح كريم الموسوي : 70/20

(2) المرأة في الجاهلية ، حبيب الزيات :11

(3) ديوان أبن الرومي : 3/ 47.

(4)الأنسان في رؤية ابن الرومي و المتنبي بين المدح و القدح ، جمعة بنت سفر سعيد الزهراني : 201.

(5) النهاية في الكناية ، أبو منصور الثعالبي :26.

(6) المصدر السابق : 26.

(7)ديوان البحتري : 179/2.

(8) الجاهلية في الشعر الجاهلي ،محمد الناصر: 16 .

(9) المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي:166.

(10) تطور المرأة عبر التأريخ ،باسمة كيالي : 101

(11)النهاية في الكناية : 48.

(12)صورة المرأة في النثر الجاهلي ، زهور علي عثمان دويكات:70

(13)ديوان ابو نؤاس : 560.

(14)الجاهلية في الشعر الجاهلي أخلاق العرب بين الجاهلية و الأسلام: 198 .

(15) صورة المرأة في النثر الجاهلي : 11.

(16)النهاية في الكناية : 13.

(17) شرح ديوان عنترة :178

(18) الكناية أساليبها و مواقعها في الشعر الجاهلي ،محمد الحسن علي الأمين : 166.

(19) النهاية في الكناية : 15.

(20) المصدر نفسه : 15.

(21)المرأة في الشعر الأموي ، الدكتورة فاطمة تجور: 17

(22) النهاية في الكناية :15.

(23) معجم الأعداد رموز و دلالات ، جان مخايل صدقة: 91 .

(24) النهاية في الكناية :15

(25) المصدر نفسه : 17.

(26)صورة المرأة في النثر الجاهلي :79

(27) النهاية في الكناية : 18/17.

(28) المصدر نفسه : 18 .

(29) المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي: 146

(30) ديوان الأعشى : 263.

(31) الجوار عند العرب في الشعر حتى العصر الأموي ، الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك :16 .

(32) النهاية في الكناية : 53

(33) المصدر السابق : 48.

المصادر و المراجع :

*تطور المرأة عبر التأريخ ،باسمة كيالي، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر ، لبنان ، 1981 .

*الجاهلية في الشعر الجاهلي أخلاق العرب بين الجاهلية و الإسلام دراسة مقارنة على ضوء الإسلام ، محمد الناصر ، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، ط1 ، 1992.

* الجوار عند العرب في الشعر حتى العصر الأموي ، الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، دار المعارف، ط1 ، 1992 .

*ديوان أبن الرومي ، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط3 ، 2002.

*ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين ، الناشر مكتبة الآداب بالجماميزت .

*ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، مصر .

*ديوان ابو نؤاس دار صادر ، بيروت ، ط1.

* شرح ديوان عنترة العبسي ، الخطيب التبريزي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1، 1992.

* معجم الأعداد رموز و دلالات ، جان مخايل صدقة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1994 .

*المرأة في الجاهلية ، حبيب الزيات ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

*المرأة في الشعر الأموي ، الدكتورة فاطمة تجور ، من منشورات أتحاد ابكتاب العربي ، 1999 .

* المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1960.

* النهاية في الكناية المعروف بالكناية و التعريض ، لأبي منصور إسماعيل الثعالبي ، تحقيق فرج الحوار ، دار المعارف للطباعة و النشر ، تونس .

الرسائل و الأطاريح :

-الأنسان في رؤية ابن الرومي و المتنبي بين المدح و القدح ، جمعة بنت سفر سعيد الزهراني ، المملكة العربة السعودية ، جامعة أم القرى ، رسالة ماجستير، 1997.

-التعالق النصي بين الرواية و التأريخ ،أ . م. جراح كريم الموسوي ، دورية ندوة جائزة الشارقة للإبداع العربي العام 2018/2019 .

- صورة المرأة في النثر الجاهلي ،زهور علي عثمان دويكات ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ،فلسطين ، 2013 ، رسالة ماجستير .

-الكناية أساليبها و مواقعها في الشعر الجاهلي ، محمد الحسن علي الأمين ، جامعة أم القرى مكة المكرمة كلية اللغة العربية ، رسالة ماجستير ، 1983 .